

السوريون في اميركا

دارت على اسلافنا الفينيقين صروف الدهر فاتقرضوا واندثرت معهم مدينتهم الغربية وصنائعهم العجيبة وباتت مدينتهم صور القديمة التي كانت محط رجال تجارة الشرق والغرب وام المدائن في العالم الممور في ايامهم عظمة ونزوة وقوة اثاراً طوامس واطلالاً دوارس ماتوا حسب سنة القضاء وشريعة هذا الكيان ولكن مزاياهم الغراء وماثرهم الشاه لم تمت . فقد كانوا مثال النشاط والاقدام والهمة وافادوا العالم في ايامهم فوائد كثيرة ورث بعضها اهل العصور التي جاءت بعدهم

ولم يبق لنا نحن السوريين شيء يذكر من تلك الفوائد حتى ان آثار بلادهم التي تدل على ما بلغوه من درجات المجد والسعد قليلة جداً بالنسبة الى آثار المصريين القدماء التي ظهرت بكثرة في هذا العصر . غير انهم خلقوا لنا مزية لا تقدر فوائدها وهي الميل الى الاسفار وركوب البحار لاكتساب المال واكثر المنافع . فقد اموا في ايامهم قارات اوربا وافريقية واسيا وابتنوا فيها المدائن التجارية الكبيرة وبنوا روح المدنية . ولو كان انتناح كولبس للعالم الجديد في ايامهم لكانوا اول من قصدوه وحرثوا اراضيهم واستثمروا خيراته واستخرجوا معادنه وعمروا مدائنه ونظموها هيئة الاجتماعية

عرف عامة السوريون منذ نحو ثلاثين سنة أن في الارض بلاداً جديدة تسمى اميركا . وهذه البلاد جزيلة المال عظيمة الاتساع طيبة الهواء وان تحصيل الثروة فيها من الحقق وان حكوماتها عادلة والامن سائد كل انحاءها وان ثبات الالوف هاجروا اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا واطاليا واليونان وسواها وانهم جمعوا منها الاموال الطائلة وامتلكوا فيها الاراضي الواسعة وان معظمهم جعلوها وطناً لهم واحوالهم فيها من زراعة وصناعة وتجارة على جانب عظيم من التقدم

فهذه الانباء ولدت روحاً جديدة في الذين بلغتهم فطمحت ابصارهم الى مشاهدة تلك البلاد الجديدة بنجأوها . ولما تحققوا بالخبر ما سمعوه بالخبر ارسلوا يطلبون عيالهم وانسباءهم واصحابهم فاتوا اميركا وجمعوا الاموال الطائلة فاستفادوا وافادوا

ومن نحو ربع قرن حتى يومنا هذا اصبح طريق اميركا طريقهم المطروق وسكنتهم السلوكة فكثرت عددهم فيها وانتشروا في ولاياتها يتفحون ابواب الرزق ويكتسبون المال . ففهم من

جعل هذه البلاد وطناً لهم ومنهم من رحل الى سورية فحسب املاكه بما اخذه من المال او ابتاع بها املاكاً جديدة او تفتت دراهمه لضيق ابواب المعاش في سورية فعاد الى اميركا ثانية وقدم السوريون الى العالم الجديد في هذه السنين الاخيرة امر غريب فلا ترى سنيّة قادمة الى هذه البلاد الا وفيها عدد كبير من مهاجرهم . اما عدد السوريين في المهاجر كلها فلم يعرف بعد . فمنهم من يقول انهم بلغوا ٢٥٠.٠٠٠ نسمة ومنهم من يقول انهم اكثر ومنهم من يقول انهم اقل . ويقدر ان في الولايات المتحدة وحدها نحو ستين الفاً منهم . ولقد سألت حضرة الكاتب الاديب نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة المدى عن عدد السوريين في المهاجر كلها فاجابني ان عدد السوريين المهاجرين مئتان وخمسون الفاً ٦٠ الفاً في الولايات المتحدة و ٥٠ الفاً في اميركا الجنوبية و ٢٥ الفاً في اميركا المتوسطة و ١٠ الاف في استراليا وبعض الجزائر والباقون في افريقية الهند والفلبين

ولما كان كثيرون من مطالعي هذه المجلة يودون الوقوف على احوال السوريين في العالم الجديد وكان حديث السواد الاعظم من ابناء سورية في هذه الايام عن هذه الديار العامرة رأيت ان اكتب كلمة في هذا الموضوع وقد قسمت الكلام الى خمسة ابحاث وخاتمة

البحث الاول في اعمال السوريين واشغالهم في الولايات المتحدة

فمنهم باعة الكشة وهم العدد الاكبر من المهاجرين الى هذه الديار والاكثر ثروة والاسرع تجارة . وحرفتهم شاقة فهم اليوم في هذه الولاية وغداً في ولاية اخرى . وتجارهم محصورة مع جمهور الفلاحين والمزارعين وقد امتازوا باجتهدهم واقتصادهم ولكن استعمال بعض سفلتهم للخداع والغش في معاملتهم نقر جمهور الاميركيين منهم فوقفت حركة اعمالهم عما كانت عليه قبلاً

ولما اكثر عدد المهاجرين واخبروا البلاد وسكانها وعرفوا اذواقهم وعوائدهم واخلاقهم ومناجرتهم وصنائعهم اقتصر على الاتجار بالاقشة الرائجة عند الاميركان كالملبوسات الحريرية والصوفية والكتانية وما اشبه فاحسنوا وتضاعفت ارباحهم

وربح بائع الكشة بقدر سنوياً بنحو ٥٠٠ ربال واذا كان عدد الباعة خمسين الفاً كما يقدر فيكون ربحهم السنوي خمسة وعشرين مليون ربال او خمسة ملايين ليرة مصرية . وقد قل عدد الباعة في هذه الايام الاخيرة بسبب كره الاميركي لهذه الحرفة فتحولت انظار كثيرين منهم الى مجازاة الاميركان في اعمالهم

ومنهم باعة الحرير وهم فئة الشبان والشابات السوريين المهذبين الذين لم يرتضوا بعبثة صاحب

الكشة والتجول في البراري والقفار ومقاساة الآم الحرّ والبرد الواناً فشرعوا في الاتجار بالبضائع الحريرية النفيسة والمطرزات الشرقية مع اغنياء هذه البلاد واكبرها . وباعة الحرير يختلفون عن باعة الكشة في المعيشة وهم اول السوريين الذين تملك فيهم العوائد الاميركية واصبحوا في معيشتهم لا يختلفون كثيراً عن سكان البلاد الا صليين . وهم يكسبون من المال اكثر مما يكسب باعة الكشة . ولكن نظراً لنفقاتهم الباهظة ليس لديهم ما لدى صاحب الكشة من الثروة ومنهم عمال للمعامل والطرق والاسواق والمناجم وهم قليلون لا يرجي منهم تقع مادي ولا ادبي لان دخلهم محصور ولا يكاد يكفي نفقات معيشتهم

ومنهم الزراع وهم قلائل جداً بالنسبة الى عدد المهاجرين من السوريين على ان هذه المهنة الشريفة افضل كثيراً لمستقبل السوري من غيرها . وقد اعطت الحكومة بعض الاراضي مجاناً لمن يعمل في الفلاحة والزراعة وعينت لكل منهم ١٦٠ فدانا تملكها اياها شرعياً بعد مرور خمسة اعوام عليها

ومنهم تجار باعة الكشة او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الكشة وهم ذور ثروة عظيمة وتجارة واسعة ولم سمعة حسنة بين التجار الاميركيين . ونجاحهم موقوف على نجاح بائع الكشة . فاذا دارت حركة تجارة هذا دارت الحركة في شارع واشنطن في نيويورك حيث العدد الاكبر منهم كما ان منهم كثيرين في سائر الولايات المتحدة

ومنهم تجار باعة الحرير او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الحرير وهم ارباب ثروة ومقدرة على التجارة يستجلبون انفس بضائع الشرق واتجر بضائع فرنسا واطاليا والمانيا وسائر ممالك اوربا وكلهم في مدينة نيويورك ثاني مدائن العالم في عدد السكان والحضارة وال عمران ولقد نشرت بعض الجرائد الاميركية فصلاً تفتي فيها على همة تجار السوريين ونشاطهم وتنهم في اساليب التجارة . ولا غرور فان بيننا منهم من يفتخر بذكرهم ويعطرا اسم الجالية السورية

ومنهم تجار الرياش الشرقية عموماً والسجاد التركي والعجمي خصوصاً . وهم يزاحمون الارمن على هذه التجارة المهمة . اما محلاتهم التجارية فهي في المدائن التي يؤمها اغنياء الاميركان في فصلي الصيف والشتاء ترويحاً للنفس

قال لي احد المتعاطين لهذه التجارة من شباننا الاديان ان هذه المهنة اشرف المهن واجزؤها ربحاً فان تجارتها محصورة مع اكبر الاميركان واغنيائهم وارباحها طائلة وانه كلما زاد رأس مال صاحبها كثرت ارباحه

ومنهم أرباب الجرائد والأطباء. وجرائدنا العربية اليوم في الولايات المتحدة ثماني جرائد وهي كوكب أميركا أقدم جريدة عربية في العالم أجديد والهدى ومرآة الغرب والصخرة والحيط والاقبال والزوي وامهجر. وهي تدخل المالك العثمانية ما عدا الثلاث الأولى لأنها حرة ولتدكات حالة صحافتنا فيما مضى غير راضية بسبب كثرة مناظراتها التي لا طائل تحتها. واما اليوم مخالفتها سرية واقوالها منبذة. وقد انشئت عدة جرائد غير التي ذكرت الآ لأنها ماتت لقله مكاسبها وفي نية بعض أربابنا انشاء جرائد جديدة وبين نزالتنا جماعة من ارباب الاقلام لم يرتضوا بخدمة الادب لان بضاعة القلم ما زالت كاسدة عندنا كما هي الحال في سورية. ولنا تراهم يفضلون المراكز المادية على المراكز الادبية فصار اكثرهم قبحاً! وكانت النتيجة حرمان الامة السورية من علومهم ومعارفهم

البحث الثاني في الداعي الى المهاجرة

اسباب المهاجرة في هذه السنين الاخيرة هي اولاً ضيق ابواب المعاش في سورية. وثانياً فساد بعض عمال الدولة العثمانية ومأموريها فما احرى حكومتنا ان تسد الخلل وتحسن الشؤون والاحوال

هذا شول بغداد المحجور التسيح الارزاء. وهذه بادية الشام واراخي باشان. وهذه سهول موآب وادوم الوسيعة. فلو ساد في اطرافها الامن ووجبت الدولة اليها انظارها ووجهتها لفلأحي البلاد ليحرقوها ويزرعوها ويستثمروها لجادت عليهم بالخيرات الكثيرة

البحث الثالث في معيشة السوريين وعاداتهم

تخلق السوريون ولا سيما ادياؤهم بكثير من اخلاق الاميركيين في وقت وجيز من الزمن واقتبسوا عاداتهم ونكسهم ظنوا محافظين على عاداتهم ومعيشتهم الشرقية ايضاً. فهم مع الاميركي اميركيون ومع الشرقي شريقيون. فاذا زارهم اميركي عاملوه كما يعامله ابن بلاده وما زار اميركي سورياً الاً خرج مادحاً ما لقيه من حسن ضيافته وورقة اخلاقه ومنتجعاً كيف ان هذا الشرقي الحديث المهد في بلاده جاراه في مصطلحاته وباراه في عوائده وكاد يسبقه في اتقانها

وقد انتج اسوريون مطاعم فيها من جميع المأكولات والمشروبات السورية. فاذا جاء قادم من الشرق ومرّ على تلك المطاعم في شارع وشنطن في نيويورك خال نفسه في سورية اما الالاقب فلا يزالون محافظين عليها ايضاً. فكل من الكاتب والشاعر والاديب

والطبيب والرجيه والرئيس والزعيم يلقب بالاندي والتيج ما زال شيئاً والامير ما برح اميراً
اما الذين ولدوا في هذه انبلاد اجديدة وشبوا فيها من الشعب السوري فلم يعودوا يرتضون
بمصطلحات بلادهم وعوائدهم بل اصبحوا يفضلون المعاشرة والمخالطة مع جمهور الاميركيين على
معاشرة السوريين حتى ان معدم لم تعد تقبل المآكل السورية

البحث الرابع في ما افادت مهاجرة السوريين الى العالم الجديد

لا مشاحة ان فوائد الاغتراب محققة ومعروفة ولا سيما اذا كان الى بلاد زاوية بالتحدن
وزاهرة بالحضارة والعمران . فلولوا الاغتراب لما بلغ عصرنا ما بلغه من التقدم والارتقاء .
ولولا اختلاط الشعوب النخطة بالشعوب الراقية لظل عصرنا معدوداً من العصور المظلمة
بالجهالة والتفقر . فاغتراب السوريين الى العالم الجديدة افادهم فوائد كثيرة اليك بعضها

الفائدة الاولى الثروة : كانت ثروة سورية قبل افتتاح طريق اميركا قليلة بالنظر الى
حاجة عامة الامة فتغيرت الحال كثيراً الآن . هذا جبل كسروان فولوا اميركا لظلت مساكنة
اكواخاً واهلوه يتاسرون عذاب الفقر والفاقة . وهذا جبل لبنان فولوا اميركا لما كثرت دوره
النجيحة وتحسنت املاكه وارضيه وتساوى فقيره بغيره . وهذا وادي التيم فولوا اميركا لتي
فقيره مدوساً فقد كان صاحب المئات في تلك النواحي يعد من اكابر الاغنياء فاصبح اليوم
محبوساً من اصغر الفقراء وكان ربا المئة غرش هناك ثلاثين غرشاً في السنة واكثر فامسى
الآن خمسة غروش للتجار وثماني او تسعة لبقية الناس

وهكذا قل في جبل التلون وغيره من الكور والقصبات والضياع والمزارع التي جاء بعض
اهاليها الى اميركا . فان حالتهم كانت كماله اخوانهم في جبلي لبنان وكسروان وفي وادي التيم .
واما اليوم فقد تحسنت شؤونهم وتوفرت اموالهم

وارتقاع اسعار الاراضي في سورية بعد هذه المهاجرة وكثرة المال فيها امران يدلان على
ان اميركا اكثر ثروة القطر السوري الى حد لم يحلم به احد من اجدادنا . ومن اين رأس
مال تجارة السوريين في العالم الجديد بل من اين ملايين الريالات التي يملكونها اليوم

الفائدة الثانية الاستقلال : سنة ١٧٧٦ اشترى الاميركيون استقلالهم بدمائهم التي جرت
كالانهار بعد معارك شهيرة وفي مدة ١٢٩ سنة اصبحوا في مقدمة العالم بالاختراعات والصنائع
والفنون والعلوم والقوة والمال والنفوذ . وكل هذا التقدم السريع الغريب هو ثمرة ذلك الاستقلال
والسوريون المهاجرون الى بلاد الاميركيين تمتعوا بهذا الاستقلال ولكن بلا سفك دماء

ين بالاخلاق والافتداء - فصاروا يقاومون كل سلطة مستبدة باقوالهم وافكارهم ويقاوتون كل ظلم مكابر بكتاباتهم واموالهم . ولقد ظهرت فوائد الاستقلال بين هذا الشعب المهاجر فكبرت نفسه وسمت مطالبه وتشدت عزائمته وحلقت ابصاره الى طنب المعالي

القائدة الثالثة النشاط : ان السوري نشيط وقد وصف بذلك ولكن حالة بلادهم الداخلية افقده نشاطه لان كل سبب من اسباب العمران فيها على جانب من الاخطاط . ولما هاجر الى بلاد التمدن ورأى فيها ميادين السباق عادت اليه روح النشاط فقرنه بنشاط الاميركي فصار يغالب العالم بهمة شماء فاستفاد واتقدم واخذ في مسابقة الاميركيين انفسهم

القائدة الرابعة ان كل عمل محلل شريف : من اتبع الموائد في القصر السوري ان ليس كل عمل محلل شريف فالنجاح والصانع والعامل واخذام ليسوا شرفاء عند السوري المدعي التمدن وانما العمل الشريف عنده هو تعاطي خدمة الحكومة او القلم او العلم لا غير . فكل من هؤلاء اذا قبيض له ان يكون مأموراً عند الدولة ثم عزل فلا يرجع الى مهنته ولو اضطره اقلاله الى التسول فلنأمنه ان العمل عار عليه . والوجه المثيري او الكبير الذي ساعدته الايام ليكون كبيراً بوجاهته او بماله او بتفوقه او برجاله اذا عانده التوفيق وسطا عليه الدهر فلا يعود الى تعاطي تلك الحرف زعماء بان هذا التنازل يحيط من قدره ومقامه وشرفه واي طالب علم في سورية يعمل في الحصاد وما اشبه في ايام عطلة المدرسة كما يفعل طلاب العلم في العالم الجديد فان الطالب الاميركي يقضي ايام العطلة في العمل إما في الحصاد او في المعامل او في الطرق او في المطاعم او في الاستخدام معتقداً ان "سكل عمل محلل شريف" وانه ما من عار على من يعمل بل على من لا يعمل

وقد اقبلت المواسم في العام الماضي في بعض الولايات المتحدة الجنوبية فاضطر الفلاحون والمزارعون الى فعلة كشار لحصاد مزروعاتهم فاداعوا انهم يدفعون اجرة اليوم من رباين الى ثلاثة ربايات لكل من يريد العمل عندهم . ولما بلغ الخبر كثيرين من طلبة الكليات الخارجيين الى العطلة المدرسية ذهب عدد عظيم منهم للعمل في الحقول فعملوا بنشاط وحصلوا نصيبهم من المال غير متوهمين ان في العمل منقصة او عاراً او اهانة كما يتوهم ابناهم سورية . وقد ذكرت ذلك جريدة الهدى في نيويورك في وقتها . فالسوريون المهاجرون استفادوا من الاميركيين هذه الفائدة العظيمة ولذا نراهم يتقبلون في الاعمال كلما ساحت الفرصة

البحث الخامس في مستقبل السوريين في العالم الجديد

لا يمكننا الجزم بما يكون مستقبل السوريين في هذه البلاد تماماً ولكننا نقول بالاجمال

انه سيكون مجيداً للأسباب الآتية وهي

- اولاً . اتساع ثروتهم
- ثانياً . تقدم تجارتهم وامتدادها واهتمامهم المتواصل بحسينها ومجاراة الاميركيين
- ثالثاً . نشاطهم في اعمالهم كما سبق الكلام عنه في البحث الرابع من هذه المقالة
- رابعاً . جمعياتهم المتنوعة الالة خيرهم الادبي والمادي والاخذة بالتقدم والتحسين والامتداد الى كل مدينة وجد فيها سوريون من مدن هذه الولايات
- خامساً . اهتمامهم بتهديب ابنائهم رجال الاستقبال الذين يتوقف عليهم حسن مستقبلهم وازدياد تقدمهم
- سادساً . انتشار جرائدهم والاهتمام بحسينها وتقدمها واكثرها ونشرها للمواضيع المفيدة
- سابعاً . انهم في الولايات المتحدة العظيمة التي سبقت العالم او كادت في كل فن ومشروع مدني وعمراني ولم مجال واسع للاقتداء والتقليد

الخاتمة

لما كانت العلاقة شديدة بين السوريين المهاجرين او المتغربين الى اميركا فقد رأيت من الضروري ان اختم سطوري بنصائح لابناء وطني السوري العزيز

النصيحة الاولى . على من يريد العجىء الى الولايات المتحدة ان يكون صحيح الجسم واليوس . فان كان ذا مرض معدية وكانت عيناه ضعيفتين فلا يدخل هذه البلاد

الثانية . ان يحضر معه مقداراً قليلاً من المال ينفقه قبل شروعه في العمل

الثالثة . ان يكون اقراره في ادارة المهاجرة في نيويورك كاقرارو في مرسيليا بالحرف الواحد وان يكون حسن الملابس نظيفها ما امكن اذا وقف امام هيئة الادارة المذكورة . والاقرار حوسوات تطرح على القادم المهاجر في الكيبانية في مرسيليا حيث يقطع جواز السفر ثم في ادارة المهاجرة المشار اليها . والسوات هي كما يأتي

- (١) الى اين تقصد الذهاب
- (٢) ما هي صنعتك وماذا تقصد ان يكون شغلك في الولايات المتحدة
- (٣) هل لك اقارب هناك واذا كان لك فما هو عنوانهم
- (٤) كم هي كمية الدراهم التي تزيد معك عن ثمن جواز سفرك
- (٥) هل انت اعزب او متزوج فاذا كان متزوجاً وترك امرائه واولاده فالكيبانية

تصححه ان يكون اقراره انه اعزب لان ادارة المهاجرة لا تسمح له بالدخول اذا كان متزوجاً وقد ترك عائلته في بلاد بعيدة

الرابعة . ان كل امرأة غير مصحوبة بعلمها او اخيها لا تدخل وكل ابنة غير مصحوبة بابيها او اخيها لا تدخل ايضاً

الخامسة . ان لا يحسب ان المال في اميركا ملق في طرقها وشوارعها فان المال يتطلب مشقات ومتاعب كثيرة لا يستطيع تحملها الا الذي عضه الفقر وتمود الدأب والتعب . فكل من تعود الترف والراحة الجسدية في بلادو وكان فقيراً فنصح له ان لا يأتي اميركا لان العاقبة وخيمة والندم لا يجدي نفعاً

السادسة . ان يحسب انه اذا كان دخله الشهري في سورية ٢٠٠ غرش فهذه القيمة افضل من ٦٠٠ غرش في الولايات المتحدة لان ما يكفي عاماً في بلادو نفقة لا يكفي في اميركا ثلاثة شهور

السابعة . ان كل من يجهل لغة اميركا وكان بلا رأس مال لا يستطيع العمل بغير الكشنة وقد سبق الكلام عن اشكال الاتعاب التي يقاسمها صاحب هذه الحرفة

الثامنة . ان مخاطر اميركا كثيرة . فان صواعقها وزوابعها هائلة وكثيراً ما دمرت الدور والمسكن واقتلعت الاغراس وذهبت بالارواح وقطرها الحديدية وسائر الآلات البخارية المتنوعة والمتوفرة في الولايات المتحدة طالما قطعت الايدي والارجل وهشمت الاعضاء وامات العباد . وكثرة الامطار طالما فعلت فعل الزوابع والصواعق والقطر الحديدية . فقد هطلت اياماً في هذا العام فسيبت طوفاناً في بعض بلدان الولايات فكانت النتيجة موت الوف من الناس غرقاً وخسارة ملايين الريالات

والتقلبات الجوية في هذه البلاد ليس ضررها باقل من اضرار المخاطر المذكورة نقاً . فكثيراً ما يتغير الطقس في النهار من حر شديد الى برد قارس فيسبب هذا التغير السريع عللاً صدرية واضراراً صميمة مختلفة في جسم السوري الذي تعود اعتدال اقليم سورية ونقاوة هوائها وترتيب فصولها وطيب ماثها

التاسعة . انه اذا تحسنت شؤون سورية الزراعية والصناعية والتجارية والادارية ولو

يوسف جرجس زخم

الريثاني

قليلاً فهي افضل بلاد للاقامة فيها

الولايات المتحدة